

فهم لا يستمدون غذاء شاعريتهم إلا من فتات مائدة واحدة هي هذه الدواوين الشعرية التي ورثوها عن الأقدمين يحفظون ألفاظها ويجوّدون أساليبها ويتغنّون مثلهم العليا في معانيها وصورها، فترى الواحد منهم إذا أراد أن يقول شعراً راجع ما قاله القدماء والتقط ما نثروه من ألفاظ وأساليب ونطقوا به من معان وصور، حتى إذا اجتمعت إليه مجموعة لا بأس بها من هذا كله سلكها في هذه السلاسل التي يسميها أوزاناً شعرية. ونشأ عن ذلك أن قلَّ الابتكار في الشعر، وأصبحنا لا نكاد نتأثر أو نحسّ به لأنه موسيقى متكررة توقع من حين إلى آخر على نغمة واحدة، وشاعت السرقات الشعرية عند هذه الطائفة من الشعراء، فاستباحوا حمى أسلافهم الأقدمين وأغاروا على دواوينهم، واجتلبوا منها سبایا الأساليب والصور، وهي سبایا باردة جامدة، لا تنبض قلوبها بحرارة ولا بحياة، والشركات كثيراً ما تُعقّد في هذه السبایا، والشعر لا يربح منها إلا ألفاظاً لا غناء فيها ولا قيمة لها. ولو كان للشعر العربي حكومة لأخذت على أيدي هؤلاء المتشاعرين الذين لا يقعون منا إلا موقع الضوضاء الممقوتة المنكرة، فحرّمت عليهم اجترار هذا الإثم أيّاً كان لونه وأيّاً كان شكله، إذن لاستراح الشعر العربي من عبء ثقیل يتعبه ويشقيه، ويمرضه ويضنيه.

ومما يدعو إلى العجب أن بعض النقاد أخذ يهيب بهؤلاء الشعراء، ويضع أيديهم على ما هم فيه من عيب ونقص، علّمهم يصلحونه أو يتخلصون منه، لكنهم يعرضون عنه، ويصرّون على ما يجلّل آثارهم الشعرية من عيب وما يسومها من نقص. وتضيع من وقت لآخر هذه الدعوات المخلصة، وتذهب كأنها نفخة في رماد، لا تبعث لهيباً ولا توقد ناراً، أو كأنها صيحة في صحراء تضيع في متسع الأجواء وتفنّي في منفسح الآفاق. ولو أنصف هؤلاء الشعراء أنفسهم لأصاخوا إلى هذه الدعوات المباركة واستجابوا إليها، وهل يحسن بهم أن يؤثروا العقم على الإنتاج أو يستحبوا التقليد على الحرية؟ إنهم لو تدبروا لسارعوا إلى تخليص أنفسهم من أسر الجمود ورقّ التقليد، ففكّوا عن أعناق شعرهم هذه الأفعى التي تحاول أن تخنقه. على أن هذه الحياة الجديدة التي نأمل فيهم أن يستبقوا إليها لن تكلفهم مشقة كبيرة فإن السبيل إليها سهل ميسّر. وما عليهم إلا أن يلقوا بحبة